

عمارة المدارس بالغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية: دراسة تاريخية  
معمارية

**School architecture in western Algeria during the Ottoman  
period: an architectural historical study**

د. مجاهدي إبراهيم

جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان- (الجزائر)

[brahim.medjahdi@univ-tlemcen.dz](mailto:brahim.medjahdi@univ-tlemcen.dz)

تاريخ الاستلام: 2025/07/10 تاريخ القبول: 2025/09/02 تاريخ النشر: 2025/09/18

**ملخص**

تُعتبر المدارس جهازا معماريا يهتم أساسا بالتدريس وتلقين العلوم وإن اختلف  
عن الزوايا ببعض الفروقات المعمارية.

إلا أن أغلب هذه المدارس في الجزائر اقترب تصميمها الأساسي منذ نشأتها إلى  
أواسط عهد الاحتلال الفرنسي من التخطيط القائم أصلا على صحن تفتح عليه  
غرف معدة إما للتدريس وإما لإيواء الطلبة وأيضا مصلى وميضأة وقد يكون بها  
مئذنة ولا نجزم وجود أضرحة أو قبور بها قبل وفاة مؤسسها المدرسين بها عكس  
الزوايا التي قد تُنشأ على أوقرب ضريح ولي صالح.

كلمات مفتاحية: المدارس، الغرب الجزائري، العمارة، أثرية

**Abstract**

Schools are considered an architectural body primarily  
concerned with teaching and teaching science, although they  
differ from corners with some architectural differences However.

the basic design of most of these schools in Algeria, from their  
inception until the middle of the French occupation, came close to

the plan that was originally based on a courtyard to which open rooms prepared either for teaching or to house students, as well as a prayer hall and an ablution, and it may have a minaret. We are not certain that there were shrines or graves in it before the death of its founders, the teachers in it. Contrary to the corners that may be built on or near the shrine of a righteous saint.

**Keywords:** schools, western Algeria, architecture, antiquities

## 1. مقدمة

لا يُمكننا بأي شكل من الأشكال أن نجزم بعدم وجود مدارس بإقليم الرّاشدية عامة ومعسكر خاصة قبل العهد العثماني وخاصة إبان الحكم الزّياني، ولكن ما تداوله المؤرّخون والمهتمّون والدّارسون لهذه المنشآت المعمارية خلال تواجد العثمانيين بمعسكر وما جاورها هو ثلاث من كبرى المدارس بالمنطقة ونقصد بهم المدرسة المحمّدية الجلييلة بجوار جامع الباي بعين البيضاء ومدرسة المشرفة أو عبد القادر المشرفي بالكرط ومدرسة القيطنة قرب بوحنيفة، وإن كانت الأولى والثانية قد اندثرتا أو هدمتا فإنّ الثالثة ما زالت قائمة.

أما عن غليزان فإنّ موقعها الجغرافي والذي يُعتبر همزة وصل بين الشمال والجنوب ونقطة التقاء الشرق والغرب منذ غابر السنين ساهم أيّما مساهمة في انتشار مختلف المنشآت المعمارية على مرّ العصور، أمّا في العهد العثماني فقد تصدّرت هذه المنطقة الواجهة السّياسية بالغرب الجزائري منذ البداية كيف لا وهي التي تحتضن عاصمتين من عواصم البايك الغربي المختلفة مازونة وقلعة بني راشد.

ولعلّ هذا الاهتمام بالمنطقة خلال هذه الفترة بالذات زاد من حركيتها العلمية والثقافية حتى أضحت قطبا علميا بامتياز، ويبرز ذلك جليّا في المنشآت المعمارية الدّينية بعدة نقاط منها كبلدة سيدي امحمد بن عودة وسيدي امحمد بن علي وعين طارق وقلعة بني راشد ومازونة والمطمر والعمامرة وغيرها من التجمعات السكنية الحضرية والريفية، ودليل ذلك الزوايا والمساجد والرّباطات والأضرحة والمدارس المنتشرة بها، ولعلّ أهم مدرسة ذاع صيتها نجد مدرسة مازونة الشهيرة.

## عمارة المدارس بالغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية: دراسة تاريخية معمارية

في حين وبالنسبة لوهران فلم تذكر المصادر التاريخية أو حتى المراجع مدرسة أقيمت بها خلال الفترة العثمانية غير المدرسة التي أقامها الباي محمد بن عثمان الكبير والمعروفة بمدرسة خنق النّطاح، لذا ستكون هي الأنموذج الوحيد المدروس لهذا النوع من المنشآت بوهران.

### 2. مدرسة القيطنة بريف بوحنيقية

تقع هذه المدرسة بقرية سيدي محي الدين في منطقة القيطنة على يمين وادي الحمام قرب بوحنيقية، غير بعيد عن عاصمة بايلك الغرب الجزائري معسكر.

#### 1.2. التوثيق التاريخي لإنشائها:

تأسست مدرسة القيطنة حوالي سنة 1200هـ/1787م على يد الشيخ مصطفى بن المختار، وأورد الباحث صلاح الدين مؤيد العقبي بأنّ مدرسة القيطنة كان بهل مسجد صغير يدعى بسيدي عبد القادر الجيلاني بُني خلال التواجد العثماني بالمنطقة<sup>1</sup>، ولا أدري من أين استقى هذه المعلومة ولكنه على الأرجح يقصد أحد مقامات سيدي عبد القادر الجيلاني التي انتشرت في الغرب الجزائري بكثرة، خاصة إذا علمنا أنّ مدرسة القيطنة تاريخيا كانت أحد أقطاب الطريقة القادرية بالجزائر.

فيما يخص منشئها فيرجع نسب سيدي مصطفى إلى رسولنا الكريم فقد ذكر المؤرّخ ع. الصّلابي عمّا نقله عن غير واحد من المصادر أنّه مصطفى بن محمد بن مختار بن عبد القادر بن أحمد المختار بن عبد القادر بن أحمد المشهور بابن خدّه- أو خدّة- بن محمد بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاوس بن يعقوب بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحصن

---

<sup>1</sup> صلاح الدّين مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزّوايا بالجزائر: تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، 2002م، ص500.

## عمارة المدارس بالغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية: دراسة تاريخية معمارية

بن حسن المثنى بن حسن السبسط بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>2</sup>.

### 2.2. الوصف المعماري:

تتكوّن هذه المدرسة أساساً من غرفة التدريس والمصلى المتجاوران والمطلّان على الصّحن وتقابلهما بيوت الوضوء، ولا شك في وجود بيوت لإيواء الطّلبة لم تعد موجودة اليوم بعد تخريب الزاوية من طرف المحتل الفرنسي، وعلى الأرجح أنّها كانت مكان المسجد الجديد المجاور لها.

#### صورة رقم 01: مدرسة القيطنة.



المصدر: من تصوير الباحث

عن التوزيع المعماري السالف ذكره فقد ذكر العلامة أبو رأس الناصر ذلك حين زيارته لها قائلاً: "وقد ذهب للقيطنة ذات يوم ووقفت بباب الجامع فإذا هو نواله

<sup>2</sup> علي محمد الصّلابي، كفاح الشعب الجزائري ضدّ الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر: تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، سلسلة كفاح الشعوب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 2017م، ص 351. قد نجد بعض الطّبعات من هذا الكتاب قد توقّفت عند العنوان "كفاح الشعب الجزائري ضدّ الاحتلال الفرنسي" وإضافة رقم الجزء الأول له تمييزاً له عن الجزأين الآخرين، الثاني المعنون بـ "كفاح الشعب الجزائري ضدّ الاحتلال الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس"، والثالث الموسوم بـ "كفاح الشعب الجزائري ضدّ الاحتلال الفرنسي من الحرب العالمية الثانية إلى الاستقلال وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي".

### عمارة المدارس بالغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية: دراسة تاريخية معمارية

كبيرة بمحراها، وعن يمينه بيت الشيخ المشرفي..."، إذ تأخذ هذه المدرسة بحسب تصميمها الحالي تخطيطا غير منتظم يميل نحو الاستطالة، تُضمُّ وحداتها المعمارية بواسطة سور نلج إليه عبر مدخل فُتِحَ بالجانب الشمالي نصل من خلاله على الصّحن مباشرة وهو غير منتظم، يحوي الصّحن بركنه الجنوبي الشرقي مِيضأة حديثة مربعة المسقط مسقفة بشكل هرمي.

صورة رقم 02: المِيضأة.



المصدر: من تصوير الباحث

أما الجانب الغربي للمدرسة فقد ضمَّ كلَّ من بيت الصلاة في الركن الجنوبي وغرفتي الشيخ والتدريس بالركن الشمالي، حيث بيت الصلاة مستطيلة الشكل نلج إليها عبر مدخل غير معقود فُتِحَ بركنها الشمالي الشرقي يتوسّطها المحراب الذي يعلوه عقد حدوي متجاوز، وبها كوتان معقودتان بعقد حدوي هي الأخرى الأولى بالجدار الشمالي والثانية مقابلة لها، كما فُتِحَ بالجدار الشمالي أيضا باب غير معقود يؤدي إلى غرفة التدريس.

لوحة رقم 01: صورتا بيت الصلاة ومحراها.

عمارة المدارس بالغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية: دراسة تاريخية معمارية



المصدر: من تصوير الباحث

نلج إلى هذه الأخيرة –غرفة التدريس- أيضا من خلال مدخل يطلُّ على الصحن، وتتكون هذه الأخيرة من قسمين، غرفة أولى للتدريس تسبق غرفة ثانية ترتفع عنها بواسطة منضدة.

صورة رقم 03: غرفة التدريس.



المصدر: من تصوير الباحث

### 3. مدرسة خنق النطاح بمدينة وهران:

تقع قرية خنق النطاح على الضفة الشرقية لوادي الرّحى أو وادي رأس العين، وبها تقع المدرسة غير بعيدة عن الانحدار المشرف على ساحل وهران.

#### 1.3. التوثيق التاريخي لإنشائها:

قبل الكلام عن إنشاء هذه المدرسة التي أصبحت مسجدا لا بدّ من التنبيه على إشكاليتين رئيسيتين ضمن هذه النقطة، أولهما هو عدم بناء أبي الحسن الميرني لمسجد بوهران كم فعل بمستغانم واكتفائه ببناء البرج الأحمر، أما الثانية فتتمثل في اختيار الباي محمّد بن عثمان لمكان منعزل خارج وهران لبناء مدرسته عكس الدّي فعله بمعسكر لما أقام المدرسة المحمدية بجوار مسجده<sup>3</sup>، وهنا يتبادر للأذهان أنّه ربّما قد تكون هذه المدرسة بنيت على أنقاض مسجد سابق للعهد العثماني ربما يكون من إنشاء أبي الحسن الميرني، ويمكن للأبحاث والدراسات القادمة أن تصل بنا إلى نتيجة مفسّرة لهاتين الإشكاليتين، على كلّ حال فقد أنشأت هذه المدرسة سنة 1793م أي بعد تحرير مدينة وهران من قبضة الإسبان، قبل أن يتّخذها الباي محمد مسجدا له ولأسرته عقب انتشار الوباء بوهران سنة 1794م.

وقد أمر ببناء هذا الصّرح العلمي الباي محمّد بن عثمان الكبير كما ذكر ذلك بن عودة المازاري وابن يوسف الزباني، وقد أنشأها لإقامة الطلبة الذين ساهموا في تحرير وهران.

---

<sup>3</sup> تطرّق الأستاذ ب. بلجوزي في دراسته للمدرسة إلى الإشكالية الثانية، واستنادا إلى ما وجده في المصادر والمراجع افترض وجود سببين قد يكون أحدهما جوابا عن هذه الإشكالية، يتمثّل الأول في كون البناء -المسجد أو المدرسة- كان موجود قبل زمن الباي محمّد بن عثمان وهذا الأخير قام بترميمه فقط، حتّى أنّ الأستاذ بلجوزي أشار إلى وجود جامع في نفس المكان حسبما ذكر بستموجللو (Pestemoglou) يسمّى "جامع قرقنطة" أو "الجامع الأبيض"، أمّا السبب الثاني لبناء المدرسة خارج وهران يرجع إلى الشكاوي التي وصلت الباي عن الطلبة من طرف السكّان ممّا جعله يقوم بذلك.

### 2.3. الوصف المعماري:

رغم أنّ المدرسة تأخذ شكلا مستطيلا إلا أنّ امتداد جدارها الشمالي أكثر من الجنوبي في جهتها الغربية يُظهر مخطّطها العام على شكل شبه منحرف، واستخدم هذا الجزء المثلث المضاف مؤخرًا كبيوت للوضوء ، يبلغ طول محيط المدرسة 75.9م تتخلّله ثلاثة مداخل أحدهما بالجدار الشمالي والآخران بالجهة الجنوبية، بلغت عدد نوافذه 15 فتحة للتهوية والإضاءة موزعة على الجدارين الشمالي والجنوبي، ولا تحتوي المدرسة على محراب، أمّا عن التّسقيف فانقسم بالمدرسة إلى ثلاث أصناف، الجزء الأوسط من بيت الصّلاة حاليا أخذ سقفه شكلا جملونيا وقد مثّل الصّحن سابقا والذي لم يكن مسقوفا سابقا، بينما توسّطت القبّة المضلّعة – ثمانية الأضلاع أو مثمّنة- الجزء الشرقي من بيت الصّلاة وهي محمولة على رقبة، أمّا المساحة الباقية من المسجد فقد غطّيت بسقف مستوي.

نلج إلى بيت الصّلاة عبر أبوابها الثلاثة السالفة الذّكر، وهي-بيت الصّلاة- ذو شكل مستطيل طوله 13.6م وعرضه 11.4م، فُتح المدخل الشمالي الذي يبدو مستحدثا في وسط عقد منكسر مصمت في الجدار ربّما كان هو العقد الذي يعلو المدخل الشمالي الأصلي، بينما انتظم ضمن الجدار الغربي اثنين من الأعمدة المنكسرة تحمل عقدين منكسرين متجاوزين مصمتين في الجدار، توازت مع جدار القبلة بلاطتين مقسّمة لثلاث أساكيب عمودية على هذا الجدار وأحيط الصّحن من جوانبه الثلاثة غير جهة القبلة بأروقة ليتشكّل لنا في الأخير بيت صلاة مستطيل الشكل من خمسة بلاطات موازية لجدار القبلة وخمسة أساكيب عمودية عليه، أمّا عن اختلاف اتّجاه البوائك في المدرسة فهو راجع إلى إطلالة الأروقة في حدّ ذاتها على الصّحن، إذ يظهر جليّا في انفتاحها عليه بثلاث عقود بالنسبة للأروقة الموازية لجدار القبلة وبعقدين بالنسبة للعمودية عليها وهي كلّها عقود منكسرة.



المصدر: نقلا عن حذبي بن حليلة<sup>4</sup>

فُتح بالجدار الشرقي لبيت الصّلاة ثلاث مداخل، يؤدّي بنا أولها وهو المفتوح بالركن الجنوبي الشرقي إلى الغرفة المستطيلة الشّكل بطول 3.4م وعرض 2.5م والتي نستعمل من خلالها إلى المئذنة عبر مدخل يعلوه عقد إهليلجي، بينما نلج من خلال الثاني المفتوح في الركن المقابل-الشّمالي الشرقي- إلى المقصورة المستطيلة الشّكل هي الأخرى أبعادها 5.5م طولاً و2.5م عرضاً، في حين يتوسّط جدار القبلة مدخل القبّة الضّريحية وهو ثالث هذه المداخل.

يأخذ الضّريح شكلاً مرتّباً طول ضلعه 5.5م تعلوه قبة مضلّعة قوامها ثمانية أضلاع محمولة على رقبة، حُمّلت هذه الأخيرة على عقود نصف دائرية مصمّمة بالجدار مرتكزة على دعائم مدمجة بأركانها هي الأخرى، نشير أنّه قد تمّ الانتقال من الشّكل المربّع للغرفة الضّريحية إلى القبة المثمنة بواسطة محارات صدفية، وحُمّلت عقود المدرسة على نوعين من الأعمدة والدّعائم، وهذا ما نميّزه بعقود بيت الصّلاة المحمولة على أعمدة أسطوانية مرتكزة على قاعدة مربّعة وتتوجّها تيجان بشكل شبه منحرف مقلوب تنبسط عليها أكتاف توضع عليها أطراف

<sup>4</sup> بن حليلة حذبي، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة وهران، رسالة مقدمة لإتمام متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2011م، ص 169.

#### عمارة المدارس بالغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية: دراسة تاريخية معمارية

العقود، أما النوع الثاني فيتمثل في الدعامات المربعة المدمجة في أركان الغرفة الضّريحية.

احتلت المئذنة الركن الجنوبي الشرقي لبيت الصّلاة وهي مربعة طولها 17.8م تقريبا مقسّمة إلى خمسة طوابق، حيث أخذ كامل مكّوناتها المسقط المربع ذات ضلع مقدّر بـ3.5م بداية من قاعدتها ومرورا ببدنها الذي قوامه سلّم صاعد من 49 درجة ملتفّ حول نواة مركزية صمّاء تغطّيه أقبية مهدية-برميلية أو أسطوانية-ومتقاطعة بالتناوب ووصولاً إلى جوسقها المغطّى بقبيبة.

#### 4. مدرسة الشيخ أمحمد بن الشارف بمدينة مازونة

تعرّض الكثير من المؤرّخين لموقع مدرسة ابن الشارف بمدينة مازونة حتى يبدو وكأنّهم غير متّفقين على موضع واحد لها ومن تلك الآراء نذكر:

جدول رقم 01: مختلف الآراء حول موضع مدرسة مازونة من المدينة

| الموضع                                                                                                        | ذاكره                                | المرجع                                                                       |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------|
| تقع هذه المدرسة على الضفة اليسرى الغربية للوادي الذي يجري في مدينة مازونة في شكل مستطيل من الجنوب إلى الشمال. | المؤرّخ يحي بوعزيز.<br>(سنة 1985م.)  | مدينة وهران عبر التّاريخ                                                     |
| تقع فوق هذه المدرسة مرتفع بمدينة مازونة، يحدها من الجهة الغربية مسبح تامدة القديم، ومن الجهة الشمالية         | الباحثة خيرة فراّجي.<br>(سنة 2012م.) | جرد لبعض معالم مازونة وعمي موسى وقلعة بني راشد بمنطقة غليزان بالغرب الجزائري |

5

<sup>5</sup> خيرة فراّجي، جرد لبعض معالم مازونة وعمي موسى وقلعة بني راشد بمنطقة غليزان بالغرب الجزائري: الجرد وسيلة للحفاظ، رسالة مقدمة لإتمام متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في الصيانة والترميم، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2012م، ص78.

## عمارة المدارس بالغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية: دراسة تاريخية معمارية

|                                                      |                                            |                                                                                            |
|------------------------------------------------------|--------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------|
|                                                      |                                            | والشرقية يحدها بيوت بسيطة البناء.                                                          |
| مدرسة مازونة ومسجدها العتيق دراسة أثرية <sup>6</sup> | الأستاذ بلجوزي بوعبد الله.<br>(سنة 2016م). | تقع هذه المدرسة شمال القصبة العتيقة بمدينة مازونة مطلّة بواجهتها الرئيسية على نهج بوعلوفة. |

المصدر: من إعداد الباحث

ومهما يكن فإنّ مدرسة الشيخ أمحمد بن الشارف تقع بالقصبة العتيقة للمدينة وهو ما يتألف مع الدّور والوظيفة الموكلة إليها.

### 1.4. التّوثيق التاريخي لإنشائها:

لا اختلاف بين الباحثين قديما ولا حديثا في تاريخ إنشاء المدرسة تقريبا فهم مجمعين على أنّه كان أواخر القرن 16م، وهو ما راح إليه المهدي البوعبدلي وناصر الدّين سعيدوني وحدّاه بسنة 1590م وأبي القاسم سعد الله ومحمد مفلح وبلجوزي بوعبد الله<sup>7</sup>، بينما أشار كل من د.فغوروق.بوجلal وس.شبيّرة إلى تاريخ 1616م كتاريخ محتمل لتأسيسها<sup>8</sup>، وتشير اللوحة المثبتة يمين مدخل المسجد إلى سنة 1029هـ المصادفة لسنة 1619 أو 1620م، ولا أدري إن كان هذا الاختلاف مردّه

<sup>6</sup> بوعبد الله بلجوزي، مدرسة مازونة ومسجدها العتيق دراسة أثرية، مج 05، ع 01، مجلة منبر الأثري، جامعة تلمسان، 2016م، ص 137.

<sup>7</sup> انظر كلّاً من:

- محمد مفلح، من تاريخ غليزان الثوري والسياسي والثقافي، دار قرطبة للنشر، الجزائر، 2013م، ص 94.  
- بوعبد الله بلجوزي، مدرسة مازونة... المرجع السّابق، ص 137.  
<sup>8</sup> انظر كلّاً من:

- قدور بوجلal ودحو فغورور، الدّور الثّقافي والحضاري لمدرسة مازونة الفقهية خلال العهد العثماني، مجلة العلوم الإنسانيّة، مج 06، ع 01، 2016م، ص 40.  
- سفيان شبيّرة، الحركة العلمية بـمازونة، مجلة الحوار المتوسّطي، مج 05، ع 02، 2014م، ص 25.

### عمارة المدارس بالغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية: دراسة تاريخية معمارية

أصلا إلى كون المدرسة أسست ربّما أوّلا سنة 1590 م ثمّ بداية إنشاء مسجدها سنة 1616م، أو أنّ الأمر لا يعدو اختلافا بين الباحثين كلّ حسب تقديره وتحليله. كما انفرد المؤرخ ع.مزيان برأي آخر مفاده أنّ مدرسة مازونة قد تأسست قبل التّواجد العثماني، إذ ينسبها أصلا إلى غيرها من مدارس العصرين الزياني والمريني ونقصدها مدارس تلمسان الخمسة: "التاشفينية، اليعقوبية، أولاد الإمام، العباد، سيدي الحلوي"، حيث يقول في هذا الشّأن: "...ونذكر بأنّ أشهر المدارس التي بتمها الدّولة كانت التّاشفينية ومدرسة العباد...ثمّ مدرسة مازونة وهي أنموذج مصغّر لمدارس تلمسان."<sup>9</sup>

صورة رقم 04: مدرسة مازونة ومسجدها.



المصدر: من تصوير الباحث

وقد أشار الأستاذ م. مفلّاح إلى مسألة مهمّة فيما يخص عمارة المدارس بمدينة مازونة أين ذكر بأنّ بلدة مازونة كانت تحتوي أصلا على مدرسة في عهد الشّيخ يحيى المازوني<sup>10</sup>، وهذا الأخير قد توفّي أواخر القرن الـ15 وبالضّبط سنة 1479م<sup>11</sup> وهو الذي

<sup>9</sup> عبد المجيد مزيان، *المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار*، مجلة الثقافة، ع22، 1986م، ص36.

<sup>10</sup> محمد مفلّاح، من تاريخ... المرجع السابق، ص34.

<sup>11</sup> هو أبو زكرياء يحيى بن أبي عمران موسى بن عيسى بن يحيى المغيلي المازوني المتوفّي سنة 1478م وصاحب التّوازل المشهورة بـ "الدّرر المكنونة في نوازل مازونة"، للمزيد حول ترجمته بدقّة ارجع إلى: إسماعيل بركات، الدّرر المكنونة

## عمارة المدارس بالغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية: دراسة تاريخية معمارية

ساق لنا ضمن نوازلہ أنّ سگان مازونة لم يرضوا ببناء مدرسة ثانيّة بالبلدة خشية شق عصا الجماعة ولكتها بُنيت بعد فتوى الإمام عبد الرحمان بن أحمد الوغليسي بجواز ذلك<sup>12</sup>، ولكن لا نعلم مصير هاتين المدرستين أثناء انطلاق الشيخ ابن الشارف في تأسيس المدرسة الحديثة وهل لإحدهما علاقة معمارية أو عمرانية بهذه الأخيرة، رغم أنّ الأستاذ ح. أ. ريب الله كان قد أشار في بحثه أنّ المدرسة القديمة بـمازونة كانت قد هجرت قبل بناء المدرسة الحديثة بقليل -ربما جزاء احتلال الإسبان للمنطقة- ثم استغلّت لأغراض أخرى غير التدريس من بعض أهالي المدينة حتّى أنّه أعطى صورة لبناء يعتقد أنّه هو النواة الأصلية للمدرسة القديمة<sup>13</sup>.

أنشأ المدرسة الشيخ أمحمد الشارف المازوني بن أحمد بن علي بن عبد العزيز البلداوي دفين وطن مجاهر قرب وادي الشلف، ويعتبر الشيخ أمحمد الشارف من النازحين الأندلسيين في رأي الشيخ بلحميسي والحفناوي وأبو القاسم سعد الله وغيرهم، وقد أنشأ المدرسة سنة 1029هـ/1619م وتعرض فيها للتدريس مدة 64 سنة إلى وفاته سنة 1093هـ/1682م.

### 2.4. الوصف المعماري:

ترتفع المدرسة عن مسجدھا الذي لا يفصلھا عنه إلّا سلّم مبلّط من ثمان درجات يعتبر المدخل الأساسي للمدرسة انطلاقا من الصّحن الذي يسبقهما، ويعود سبب هذه الاختلاف في المستوى بين المدرسة والمسجد إلى كونهما ممتدّان من الشّمال الشّرقى إلى الجنوب الشّرقى على أرض منحدرّة<sup>14</sup>.

---

في نوازل مازونة، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التّاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010م، ص-ص 129-139.

<sup>12</sup> عن شأن المدرسة الأولى ونظرة سكان مازونة إلى المدرسة الثانية انظر: أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج 07، ص 242. وانظر أيضا: أبو زكريا يحيى بن موسى المغيلي المازوني، مخطوط الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مكتبة جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، رقم الجرد 827، ص: و/الورقة 245.

<sup>13</sup> حاج أحمد ريب الله، شلف الأسفل إبان العصر الحديث المتأخر والعصر الحديث: بنو زروال بين المغربين الأقصى والأوسط أنموذج القبيلة المرابطية، دار خيال للنشر والتوزيع، الجزائر، 2022م، ص 39.

<sup>14</sup> بوعبد الله بلجوزي، مدرسة مازونة...، المرجع السابق، ص 138.

## عمارة المدارس بالغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية: دراسة تاريخية معمارية

تنتفتح غرف المدرسة على بهو -صحن- تصميمه مستطيل طوله 16م وعرضه 06م بهذا الترتيب:

- غرف خاصة بالطلبة: عددها أربعة تتوضّع بالجهة الشماليّة الغربية للمدرسة، تبدو متماثلة تقريبا.

- ضريح سيدي أبي راس المازوني مجاورا لغرف الطلبة من جهة الجنوب.

- غرفتا التدريس: وهما بسيطتان تقعان بالجانب الشمالي الشرقي، طول كل واحدة منهما 5.6م وعرضها 03م.

- الغرفتين الضريحيتين للشيخين محمد بن الشارف ومحمد أبي طالب: تحتلّان الجانب الجنوبي الشرقي، تتفاوت مساحتي الغرفتين حيث تصغر بضريح مؤسس المدرسة سيدي محمد بن الشارف ونلج إليها عبر مدخل عرضه 1م تقريبا وارتفاعه أكثر من 2.70م بقليل يعلوه عقد نصف دائري، وقد أخذت هذه الأخيرة تصميمًا مربعًا تقريبا قياس ضلعه يقارب 4.70م يعلوه قبة مضلعة.

### 5. خاتمة

تعتبر المدارس أحد مراكز العلم والتعليم التي أخذت مكانتها ضمن النّظم العمرانية الإسلامية الدّاعية إلى تطوير الإنسان المسلم وفقا لتعاليم الشريعة الإسلامية، وهذا انطلاقا من مستلّ القرن الخامس الهجري.

لقد انتشرت المدارس بشكل عام في مختلف مناطق وجهات بايلك القطاع الغربي، إذ نجد أكثرها بالحواضر التي اختيرت كعاصمة مثل تلك التي بمازونة أو مدرسة القيطنة قرب معسكر أو مدرسة خنق النطاح بوهران.

تنوعت وتعددت المخططات الخاصة بالمدارس في الغرب الجزائري وتعددت معها العناصر المعمارية المستخدمة بها وكيفية توظيفها.

لقد ساهم كل من الاولياء الصالحين والفقهاء والحكام على حد سواء في تأسيس هذه المدارس الصنف الأول ممثلا في الفقهاء والصالحين أنشأ القيطنة والصنف

## عمارة المدارس بالغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية: دراسة تاريخية معمارية

الثاني ممثلاً في الحكام أنشأ مدرسة خنق النطاح بوهران، بينما تداخلت مساهمتهما في إنشاء مدرسة مازونة.

### 5. قائمة المراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

1. صلاح الدين مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر: تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، 2002م.
2. علي محمد الصّلاي، كفاح الشعب الجزائري ضدّ الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر: تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، سلسلة كفاح الشعوب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 2017م.
3. بن حليمة حذبي، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة وهران، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2011م.
4. خيرة فراحي، جرد لبعض معالم مازونة وعي موسى وقلعة بني راشد بمنطقة غليزان بالغرب الجزائري: الجرد وسيلة للحفاظ، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في الصيانة والترميم، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2012م.
5. بوعبد الله بلجوزي، مدرسة مازونة ومسجدها العتيق دراسة أثرية، مج 05، ع 01، مجلة منبر الأثري، جامعة تلمسان، 2016م.
6. محمد مفلح، من تاريخ غليزان الثوري والسياسي والثقافي، دار قرطبة للنشر، الجزائر، 2013م.
7. قدور بوجلال ودحو فغرور، الدّور الثّقافي والحضاري لمدرسة مازونة الفقهية خلال العهد العثماني، مجلة العلوم الإنسانية، مج 06، ع 01، 2016م.
8. سفيان شبيبة، الحركة العلمية بمازونة، مجلة الحوار المتوسطي، مج 05، ع 02، 2014م.
9. عبد المجيد مزيان، المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار، مجلة الثقافة، ع 22، 1986م.

عمارة المدارس بالغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية: دراسة تاريخية معمارية

10. إسماعيل بركات، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، رسالة مقدمة لإتمام متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010م.
11. أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
12. أبوزكريا يحيى بن موسى المغيلي المازوني، مخطوط الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مكتبة جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، رقم الجرد 827.
13. حاج أحمد رريب الله، شلف الأسفل إبان العصر الحديث المتأخر والعصر الحديث: بنو زروال بين المغربين الأقصى والأوسط أنموذج القبيلة المرابطية، دار خيال للنشر والتوزيع، الجزائر، 2022م.